تجارة مصر منذ مئة عام

يعلم قراء المقتطف حال التجارة المصرية الآن مما ننشره كل عام . وقد اطلعنا على كتاب للمسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وصف فيه احوال القطر المصري الزراعية والصناعية والتجارية فرأينا ان نقتطف المقالة التالية من قسمه التجاري

(١) التجارة الداخلية

لا اهمية للتجارة بين اسنا والشلال الاول لان الاهالي هنالك فقراء يكدحون وراء رزقهم اليومي وينقلون النزر اليسير مما يستغنون عنهُ من لوازم المعيشة في قوارب يسيرونها في النيل الى الجهات القريبة منهم . غير ان مدينة اسنا وهي محطّ رجال البكوات المحنيين تفوق ما يجاورها من المدن في اهميتها التجارية لاسيما وان العرب الضاربين في الصحاري المجاورة من العبابدة والبشارية يختلفون اليها لشراء حاجاتهم من مثل القطاني والارزّ والحديد والاقمشة التي يبدلونها بجمال وغنم وصمغ وعبيد مما يقع لهم الاستيلاء عليهِ إما في الصحراء وإما خطفاً من قلب افريقية

ويكثر في اسواق اسنا الزبدة والجبن والحبوب والدجاج والحمام والخضر والصوف وغزل القطن جميع ذلك يرسل اليها من الجهات القريبة منها فضلاً عما يرد اليها من مصر واخصهُ الحديد والرصاص والنحاس والصابون والارزّ . وفيها مستودعات لواردات سنّار من ريش النعام والعاج والابنوس وصغار العبيد الذين لا يمكثون فيها الاَّ ريثما يتهيأ ترحيلهم الى القاهرة

ويرسل منها الى مصر مقادير وافرة من زيت الحسّ والتمر والنخم والسُّنا والشبّة وقليل من الحبوب

واجرة قنطار الزيت (١٢٢ رطلاً) من اسنا الى القاهرة ٤٠ مايدة (٥ غروش صاغ) واجرة قنطار البلح (٢٥٠ رطلاً) ٨٠ مايدة ويصدر منهُ من النوبة وغيرها بطريق اسنا نحو خمسة آلاف قنطار سنوياً . واجرة قنطار النخم ٣٠ مايدة الى مصر حيث يباع القنطار بزرّين محبوب (اي ٣٦٠ مايدة)

واكثر ما تنقل البضائع الى مصر بالنيل في مراكب ملاحوها من الرابرة . وسواد التجار يفضلون طريق النيل لانهُ اقل تعرُّضاً لسطو الاشقياء وغزو الغزاة من العرب

وبلي اسنا في الاهمية التجارية في اعالي الصعيد بلدة قوص من حيث يرسل القطن الصوف الابيض الى مصر ويصدّر القمح الى بلاد العرب بطريق القصير

ولقام في كل اسبوع اسواق للبيع والشراء في جميع مدن الصعيد أهمها سوق مدينة الفيوم التي يأتيها الاهالي والعرب من جميع الانحاء المجاورة يتبادلون فيها السلع والمأكولات. وتضرب على هذه الاسواق رسوم يتقاضاها البك المتولي امر الجهة التي لقام فيها اوالكاشف الحاكم عليها. وكان الرسم المضروب على سوق مدينة الفيوم ١٤٠٠٠ مايدة (كل ٨ مايدات تحوقرش صاغ) سنويًا ولكن المتعهدون يضربون رسومًا مختلفة على كل ما يدخل الى هذه السوق فيبلغ ما يأخذونهُ سنويًا نحو ١٧٠٠٠ مايدة. فكان رسم الدخولية ١٠ مايدات على كل اردب قمح ولا شيء من الرسوم على الاقمشة القطنية والصوفية والقطن المغزول لان الحاكة يدفعون رسومًا خاصة بحرفتهم تعفي لذلك مصنوعاتهم من مباشر الرسوم. ومعدل الربا في الفيوم ١٠ في المئة سنويًا

وفي القاهرة اسواق عديدة لبيع المأكولات وغيرها. ولهذه الاسواق شرطي يسمونهُ الآغا يتفقدها كل يوم راكبًا حصانهُ يتقدمهُ وزّانٌ حامل ميزانًا كبيرًا وسنجًا مختومة وتبعهُ نفر مسلحون بالعصيّ. فاذا تقدمت اليهِ شكوى من شارٍ يشكو بها نقص الوزن يأمر وزّانهُ الخاص بتحقيق ذلك امام حانوت البائع فان وجد اعوجاجًا في البائع احالهُ على أتباعهِ يقوّمون اعوجاجهُ بعصيّهم. فيتألب حولهُ الباعة جيرانهُ يعثّون بأمرهِ ويدخلونهُ الى دكانهِ مطيبين خاطرهُ حتى اذا جاء دور احدهم في الانطراح تحت عصيّ رجال الآغا يعاملهُ هو بنفس هذه المعاملة

وقد تجري شُرَط الاسواق على هذه الخطة في المدن الاخرى المهمة ولكن بطريقة اقلّ انتظامًا

وتمتاز طنطا عن جميع مدن الوجه البحري باتساع اشغالها واهمية اسواقها وموالدها السنوية ولاسيما مولد السيد احمد البدوي الذي يعلن الباشا الحاكم يوم افتتاحهِ بفرمان يرسلهُ الى المديريات السبع وهي: الصعيد وجيزة والبحيرة والمنوفية والغربية ومديريتي الشرقية. فتزدحم الجماهير في وكالات الجامع الاثني عشرة وفي الاسواق والارباض تفشاها الخيم. وكان أمر البوليس منوطًا بكاشفين ترسلهما مديريتا المنوفية والغربية فيشرفان على الاسواق الخاصة بالحواشي والمأكولات وضروب الاقمشة البلدية والاوربية والهندية يؤتى بها من الاسكندرية والقاهرة. ويحافظان ما امكن على الأمن وهو كما ذكرنا قبلاً عرضة لان

تعبث بد العرب والاحزاب المتعادية . ولقام ايضاً اسواق على جانب من الاهمية في محلة مرجوم وسمنود . وتعتبر المنصورة نقطة الاتصال بين القاهرة ومدينتي دمياط ورشيد حيث مخازن البضائع الاوربية والسورية

اما الامن في الوجه البحري فمختل في الداخلية اذ لا وجود للبوليس الا في المدن المهمة وعلى الشطوط والاطراف حيث تكثر تعديات العرب

(٢) التجارة بين مصر وداخلية افريقية

تقوم القوافل التجارية في اوقات معينة الى مصر من دارفور وسنّار وفزّان وهاك بيان اهم كلٍّ منها

قافلة دارفور

تحمل هذه القافلة الى الديار المصرية العاج والتمر الهندي والقرَب من جلود الجمال وريش النعام والشمع والكرابيج والصمغ والشبّة والنطرون وبعض جلود النمر الخ . غير ان معظم تجارتها بالرقيق الاسود صبياناً وبناتاً بعضهم يختطفهُ الخاطفون من قرى دارفور وبعضهم يؤخذون اسرى في الحرب . ويباع الرقيق في القاهرة بما يساوي الآن خمسين ريالاً مصرياً (١) واخصي منهم بمضاعف ذلك وفي دارفور نفسها يدفع الجلابون على روايتهم ثمن الرقيق الواحد اربع شقق او خمس من قماش الكتان الاسيوطي او من قماش القطن الحلاوي

وتؤلف القافلة من خمسة الاف جمل لقطع المسافة بين دارفور واسيوط في ٤٠ او ٥٠ يوماً . وبما ان آبار المياه في الطريق بعيدة بعضها عن بعض ومدة السفر طويلة يخصص الجلابون وهم ارباب القوافل نحو ثلث جمال القافلة لحمل الماء والثمن فقط لحمل البضائع والباقي لاغراض مختلفة من مثل الركوب ونقل الذخائر والمؤن واحمال الجمال التي تُعتر او تموت في الطريق

وكان لا يسمح للقافلة ان تخطى اسيوط الا بعد دفع الرسوم التي يبين مقدارها كاشف الواحات الخارجة لقبض القافلة وهذا يتقاضى من كل من الجلابين السهم الذي يلحقهُ من ذلك . وكانت الضريبة على كل رأس رقيق نحو ٧٠ غرشاً صاغاً وعلى الجمل نحو ٣٥ غرشاً صاغاً . وتؤخذ ضريبة ثانية على القافلة في القاهرة تساوي ربع هذا الرسم عدا رسم الدخولية في مصر العتيقة بواقع ١٢ غرشاً على الجمل . ويدخل مصر سنوياً من دارفور بين خمسة آلاف وستة آلاف رقيق اربعة اخماسهم جوار . ويرئس كل قافلة قائد من قبل

(١) نستعمل في ما يأتي في قيم الصلة الحالية

ملك دارفور يستوفي على مرتب من الجلابين وهو ٣ غروش عن كل جمل و٢ غروش عن كل رفيق

اما مقادير البضائع التي تنقلها قافلة دارفور سنويًّا الى القاهرة وسوسط اثمانها فيوجه التقريب كما يأتي : —

عاج ٤٥٠ قنطارًا ثمن القنطار ٩ جنيهات

تمر هندي ٦٠٠ قنطار ثمن القنطار جنيهان

صمغ عربي ١٥٠٠ قنطار والقنطار منها ١٥٠ رطلاً ثمن القنطار ٤ جنيهات

شم ٦٠٠ قنطار ثمن القنطار ٦ ريالات

كرايج ٣٠٠ كرباج ثمن الكرباج ٢ غروش

ريش نعام ٢٥ قنطارًا ثمن قنطار الاسود منهُ ١٢ جنيهًا والابيض نحو سبعة اضعاف ذلك

قرَب من جلود الجمال والثيران ٤ آلاف زوج ثمن الزوج ٤ ريالات

نطرون الف قنطار (القنطار ١٢٠ رطلاً) ثمن القنطار ٦ ريالات

شبّة ٢٠٠ قنطار (القنطار ١٥٠ رطلاً) ثمن القنطار ريال ونصف وهي تستخرج من قاع البحيرات والمستنقعات في دارفور

وقد تستغرق إقامة الجلابين في مصر اكثر من ستة اشهر يستبضعون في اثنائها ما يلزم لهم من السلع البلدية والاوربية من مثل الاقمشة واطرز المؤن والدمالج والحديد والرصاص والنحاس والسلاح والبارود والحلى الفضية الخ

وفي هذه الاثناء يبيعون معظم جمالهم فلا يقفون منها الاّ ما يلزم لرجوعهم . وفي عودتهم يدفعون في القاهرة رسماً قدرهُ ٥ غروش عن كل جمل محمّل

قافلة سنّار

تسير قافلة سنّار في طرق متشعبة تنتهي الى ابريم في النوبة ومن هناك لشايع السير الى دارفور فاسنا حيث تحطّ رحالها زمناً يتمكن فيهِ الجلابون من بيع جانب من جمالهم وبضاعتهم ثم تقلع القافلة ببضاعتها في النيل الى القاهرة وفي اجيازها النيل تدفع ضريبة في منفلوط قدرها ثلاثة غروش صاغ عن كل رأس رفيق واخرى في المنيا وضريبة ثالثة في بولاق . غير ان كلاً من الضريبتين الاخيرتين يساوي نصف الضريبة الاولى

والذي يختلف من محمولات هذه القافلة عمّا تقدم ذكرهُ في الكلام على قافلة دارفور

هو الرقيق الحبشي الذي تحضر هذه القافلة عدداً قليلاً منهُ فيباع باكثر من غيره والذكر ومقدارهُ قليل ايضاً وتباع الاناثية منهُ في مصر بنحو اربعة جنيهات ونصف

قافلة فزّان

بلاد فزّان في داخل بربرا على بعد عشرين يوماً من طرابلس الغرب واربعين من القاهرة وفيها نحو اثنتي عشرة قرية يختلف بعدها عن طريق القافلة بين نصف يوم وثلاثة ايام . وهي في بادئ امرها يقع فيها المطر فتسقى بالآلات . واهلها مسلمون متحضرون يربّون المعزى والجمال والحمير وليس عندهم خيل ولا غنم

وفي يوليو سنة ١٨٠٠ حضر شيخ قافلة فزّان الى القاهرة ومعهُ ثمانية تجار وثمانية جمّالة معهم خمسة وعشرون جملاً ستة منها محملة بضاعة طرابلس الغرب من طرابيش وبرانس واحرمة صوفية وعشرة محملة تمراً وما بقي للزاد ونحوهِ من لوازم السفر . وكان جميع رجال القافلة عزلاً من السلاح مع ان قبيلة اولاد علي كانت قد سلبت القافلتين السابقتين عند حدود مديرية البحيرة

ويغلب ان يكون التجار المرافقون لهذه القافلة من الحجاج القاصدين مكة فيحضرون معهم شيئاً من الاقمشة الطرابلسية يعتاضون بارباحها عن بعض نفقاتهم

وتعود القافلة ببعض الاقمشة الكتانية والارزّ اما الحاجات الاخرى فتشتريها من طرابلس الغرب

اختراق افريقية

اشرنا في العام الماضي الى رحلة صديقنا المستر سندج لندر واختراقهِ افريقية من شرقيها الى غربيها في طريق لم يسر فيهِ احد من الاوربيين قبلهُ . وقد بعث الينا الآن بخطبة تلاها في الدار العلمية الملكية ببلاد الانكليز فرأينا ان نقتطف منها ما يلي قال

لقد اخترقت افريقية من شرقها الى غربها في اوسع عرض منها وقضيت في ذلك ٣٦٤ يوماً في الحل والترحال واضطررت ان اعرّج مراراً واسير في طرق ملتوية فبلغت المسافة التي قطعتها ٨٥٠٠ ميل . قمت من جيوقي في املاك فرنسا وقطعت بلاد الحبشة الى نهر بارو وزرت القبائل النازلة الى الشمال والجنوب من نهر السبت وهو امتداد نهر بارو وكان سفري كلهُ على الخيل والبغال الى ان وصلت الى النيل على سبعين ميلاً من كدك (فشودا) جنوباً